

## الخلافة

دكتور احسان حقى

بصرف النظر عما بين اهل السنة والجماعة وبين الفرق الشيعية جميعها من اختلاف فى نظرة كل من الفريقين الى الخلافة ، حيث ينظر اهل السنة والجماعة الى الخلافة على انها مصلحة دنيوية زمنية يقتضيها نظام الدولة ويرون بأن باب الخلافة مفتوح امام كل مسلم توفرت فيه الصفات المطلوبة لهذا المنصب ، يرى الشيعيون ان الخلافة ، التى يسمونها امامة ، ركن من أركان الدين . وان الامامة لا تكون الا بنص وان النبى صلى الله عليه وسلم نص على امامة على بن ابى طالب كرم الله وجهه وعلى نص على خلافة ابنه الحسن رضى الله عنه الخ . ويقولون ان الامام معصوم وان الامامة محصورة فى اولاد فاطمة رضى الله عنها . ولا سيما فى اولاد الحسين رضى الله عنه .

وعلى الرغم من اهل السنة والجماعة لا يرون الخلافة ركنًا من اركان الدين ، اذ ان هناك نصا شرعيا يحدد اركان الاسلام وآخر يحدد اركان الايمان ، فانهم قد حافظوا على الخلافة حتى سنة ١٩٢٤ ، يوم الغاها انا تورك بالقوة ارضاء للغربيين ولم يكن آنذاك فى البلاد الاسلامية كلها بلد مستقل يستطيع ان ينصب خليفة فخلا هذا المركز من صاحبه ومازال خليا الى اليوم ولكن المسلمين ادركوا مدى الخسارة التى لحقتهم من جراء

ذلك فاخذوا يفكرون فى اعادة الخلافة ولكن اختلافات الحكام  
 واطماعهم مازالت تعيق العاملين المخلصين من التفكير جديا فى  
 تنفيذ هذه الخطة التى لا بد من تحقيقها فى يوم من الايام ان شاء الله  
 اما الشيعة الذين اعتبروا الخلافة نسا وليست انتخابا فقد ضاقت  
 فى وجوههم السبل وعجزوا عن الاستمرار فى هذا الطريق  
 فاقفوها عند حد وزعموا ان آخر امام اختفى فى مكان ما من  
 الارض وانه حى وسيعود فى آخر الزمان .

واما اهل السنة الذين سلكوا طريق العقل والمنطق وادركوا  
 ان الخلافة مصلحة زمينة دنيوية فقد استمروا بها وبفضل بقاء  
 الخلافة ظل الدين محفوظا والاسلام عزيزا . ويقول السيوطى فى  
 تاريخ الخلفاء صفحہ ٣٠٩ انه لما دخل هلاكو بغداد وقبض على  
 الخليفة المستعصم واولاده وقتلهم جميعا وتوقفت الخلافة ، خيل  
 للناس ان العالم اوشك على النهاية وأن الساعة آتية لخلو العالم  
 الاسلامى من خليفة .

ولذا فان المسلمين كانوا كلما توقفت الخلافة اعادوها وليس  
 ذلك لأنها ركن من اركان الدين بل لأنها ضرورة زمنية يستقيم  
 بها امر المسلمين .

ولو صح ، كما يقول الشيعة ، ان الخلافة ركن من اركان الدين  
 وانها نص وليست انتخابا لما كان الحسن بن على رضى الله تعالى  
 عنهما تنازل عنها ، بعد ابيه ، لمعاوية لقاء راتب ولم يدخل بعدها فيما  
 دخل فيه غيره حتى فيما دخل فيه اخوه الحسين رضى الله عنه  
 من اختلافات لأنها كلها كانت اختلافات دنيوية او هى صراع على

الكرسى .

ان الشيعة ينكرون تنازل الحسن ولكن الواقع يثبت ذلك اذ اننا لم نسمع انه تحرك او ثار او طلب بما يدعيه الشيعة من انه ارث على .

ونحن لسنا هنا بصدد تأييد أهل السنة أو تفيند رأى الشيعة بل اننا نتكلم بلسان المصلحة الاسلامية الزمنية ونرى ان الخلافة ضرورة من الضرورات ولذا فان المسلمين اعادوها بعد هلاكها وانتقلت بعد ذلك من بلد الى بلد حتى استقرت فى استانبول .

فالخلافة ، اذن ، مصلحة زمنية وهى ضرورة حيوية للمسلمين اذ لا بد لكل جماعة من رأس يديرها حتى ولو كانت جماعة صغيرة فى سفر فكيف بالعالم الاسلامى الذى يضم اليوم نحو ٨٠٠ مليون نسمة وهو سائر نحو الزيادة بخطوات واسعة ؟

اننا اليوم بحاجة الى الخلافة أكثر من اى يوم مضى ولا سيما بعد ان ادركنا بان الخلافة مصلحة زمنية وليست نصا ولا ركنا ولا يشترط فى الخليفة ان يكون قرشيا حتى ولا عربيا لم يعد من الصعب ان نجد الحل لانتخاب خليفة واذا كان الفقهاء قد وضعوا شروطا لانتخاب الخليفة بما يناسب الماضى فاننا نستطيع نحن اليوم ان نضع شروطا جديدة بما يناسب الحاضر والذى اقترحه فى انتخاب الخليفة هو :

(١) ان يكون عالما متضلعا بعلوم الدين والعصر بحيث يستطيع ان يكون حكما فى الامور .

(٢) ان يكون معروفا بالعفة والنزاهة وصدق القول ولم يعرف عنه

ارتكاب معصية .

(٣) ان يكون سالم الحواس والاعضاء لابل والا يكون قبيح الصورة .

(٤) الا يقل عمره عن خمسين سنة ولا يزيد على الستين .

(٥) ان تكون له مؤلفات يعرف منها مدى سلامة تفكيره ودينه .

هذا ما اراه بأمر الخليفة واما ماقاله الفقهاء من انه يشترط في الخليفة ان يكون جريئاً على اقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا يحمل الناس عليها الخ . فانه لامعنى له في هذه الأيام لان اقامة الحدود من عمل القضاة واقتحام الحروب من اعمال العسكريين والشروط السادس الذى اراه هو ان يكون مركز الخليفة مكة المكرمة او المدينة المنورة ، فاذا اجتمعت هذه الشروط فى ملك العربية السعودية فهو احق الناس بها واذا لم تجتمع فانى لا أرى بأسا من ان تكون الخلافة امارة دينية يرجع اليها العالم الاسلامى كله بأمور الدين ويكون لها القول الفصل فى كل مايتعلق بذلك من افتاء ونشر الدعوة والاشراف على المدارس الدينية وادارة الاوقاف والمساجد وغير ذلك . ويكون مركز الخليفة ومقامه فوق مركز ومقام الملوك والرؤساء فى التشريفات وتكون الخلافة كالخلافة الراشدة ينتخب الخليفة من خيرة علماء المسلمين بموجب الشروط التى اسلفناها ويظل خليفة مادام حيا ومادام قادرا ، شرعا ، على القيام باعباء هذا المنصب فاذا مات او عجز عن القيام بواجباته تامه ينتخب المسلمون غيره .

ويصح ان يكون الخليفة رأس التنظيم الذى مر ذكره ، فاذا وجد

ال خليفة ووجد معه المجلسان اى مجلس النواب الاسلامى ومجلس  
الخيار انتظمت أمور المسلمين ولا يكون لهم غير مرجع دينى واحد  
يرجعون اليه فى كل أمورهم من افتاء وتفسير ودعاية ونشر وتنظيم وغير  
ذلك .

وإذا كنت احرص على اعادة الخلافة فذلك لأنها ضرورة  
حيوية اذ لا يوجد فى العالم كله تنظيم أو جماعة تعمل من غير رأس  
ثم لان الخلافة كانت نقطة اللقاء ، عليها يجتمع كل المسلمين ،  
واليها يسعون و لرفع شأنها يعملون .

وقد ظلت الخلافة الى آخر ايامها ، على عجزها وبجرها ،  
محتفظة بجلالها وعظمتها لابل وقدسيتها وكان ملوك المسلمين  
وامراؤهم فى اقاصى الأرض يرسلون بطاعتهم الصورية الى  
ال خليفة ويطلبون منه التأييد المعنوى والاعتراف بملكهم على ما  
يملكون لتدعيم سلطانهم . لابل كان ملوك المسلمين يعتبرون  
بلاد الاسلام كلها خاضعة للخليفة خضوعا رمزيا فيكاتبون  
ال خليفة ويطلبون آية اقرارهم على مافى ايديهم من بلاد . وكان  
كتاب الخليفة فى تأييد الملوك حجة لهم على اعدائهم  
ومنافسيهم ، فقد ارسل السلطان محمود الغزنوى الى الخليفة  
العباسى يطلب اليه ان يعترف به ملكا على ما فتح من بلاد وان يقره  
عليها ، بينما لم يكن السلطان محمود بحاجة الى الخليفة العباسى  
لتثبيت حقه بالفتح ولا كان الخليفة قادرا على نفعه او ضرره لابل  
كان عاجزا عن حماية نفسه ، ولكن اعتراف الخليفة كان دعما روحيا  
للسلطان محمود . ولذلك فان كثيرا من الملوك والامراء كانوا

يحرصون على الانضواء ، ولو شكلا ، تحت رؤية الخلافة تدعيما  
لمركزهم وتكريما لمركز الخلافة .  
فلما الغى اتاتورك الخلافة ، بتأثير من الاوربيين ، عز على  
المسلمين ان يظلوا بلا خليفة وسعى بعض المخلصين لاعادتها او  
بعثها لابل وسعت بعض الدول الاجنبية غير المسلمة الى تبني الامر  
وعملت لتنصيب احد ملوك المسلمين التابعين لها ، خليفة على  
المسلمين ولكنها اصطدمت بعقبتين ؛ الاولى : ان الخليفة  
المعين لن ينال تأييد كل المسلمين ، والثانية انه لا بد للخليفة من ان  
يكون متمتعا بالحرية والاستقلال وهذان الشرطان لم يكون متوفرين  
فى احد من ملوك ذاك الزمن فتلاشت الفكرة ثم حل بالمسلمين  
عن الولايات والمحن ما اشغلهم عن امر الخلافة فسكت  
المفكرون عنها ولكنها ظلت تأخذ قسطا كبيرا من تفكير المصلحين  
والمفكرين وظلوا وما زالوا يترقبون الفرص ليعيدها سيرتها الاولى .  
وانى اذ اصر على الخلافة انما افعل لأن الامور لا تنتظم الا  
بوجود رأس يشرف عليها ويديرها وتكون له كلمة الفصل فيها . ولا  
اقصد بكلمة الفصل ان تكون كلمة فرد بل كلمة المجلس الذى يرئسه  
الخليفة .

لعل بعض المتجددين ، الذين لا يروقههم الا الجديد مهما كانت  
منزلته من الصحة ، يرون فى الدعوة الى الخلافة رجوعا الى الوراء  
ولذا فانى احب ان يعلم هؤلاء بان الخلافة التى ادعو اليها هى  
رمز التنظيم ووسيلة لجمع الكلمة وتكتيل القوى المعنوية والمادية  
وسبيل لجمع الشمل ، ونحن المسلمين بحاجة الى كل هذه الامور

لاسيما وان معنى التنظيم هو المسؤولية والعمل . فالدعوة الى الخلافة ليست رجوعا الى الوراثة بل هي قفزات الى الامام ، والعمل الذي لا رأس له يفشل والمركب الذي لا ربان فيه يفرق ، ولقد كنا زمن الخلفاء على ضعفهم ووهنهم ، خيرا منا اليوم وكان الغريب يحسب حسابنا ويقيم لنا وزنا ولم يجرؤ الغرباء على اقتحام ديارنا واذلالنا الا بعد ان هدموا حصون الخلافة ودكوا اركانها .

وإذا قيل بأن الخلافة كانت ، في الماضي ، تدعم حقها بالقوة وان الخلافة التي ادعو اليها خلافة روحية دينية فكيف تدعم حقها ؟ قلت : بان نوع الخلافة التي ادعو اليها ليست خلافة حرب وضرب وقتل وشجار بل هي خلافة دينية ، خلافة صعبة وسلام ، خلافة اخوة ووثام ، خلافة اخلاق وانسانية غايتها تهذيب النفس وهدفها رفع شأن الانسان فلعلها تستطيع بما لها من قوة روحية وسيطرة دينية ، بان تعمل لنشر السلام في ربوع العالم كله . فنحن اليوم بحاجة الى التأخى والتصافى والمحبة والعطف ولنا بحاجة الى التناصر والقتال ، واذا كان لا بد للعالم من الشرور والآثام ومن القتل والابادة فهناك كثير من الناس الذين خلقوا لهذا كما خلقت الوحوش الضارية والحشرات المؤذية وليس هذا ما يريده الاسلام ولا هذا ما يجب ان يسعى اليه الانسان المهذب الكامل .

ها انى قمت بواجب الدعوة والتنبيه وهذا ما اقدر عليه واترك الامر بين ايدي المسلمين واملى فيهم كبير بأن يهبوا ليخطوا الخطوة الاولى ، فى هذا الميدان ، تتلوها خطوات حتى نبلغ الهدف الاسمى وحتى يعم السلام على الارض ويكون النصر للانسانية والاخوة والمحبة والوفاق .